

بسم الله الرحمن الرحيم

رياض الصالحين

شرح حديث عائشة -رضي الله عنها- "إِنِّي لَسْتُ كَهِيئَتِكُمْ إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي"

الشيخ: خالد بن عثمان السبت

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، أما بعد:

ففي باب تعظيم حرمات المسلمين وبيان حقوقهم والشفقة عليهم ورحمتهم أورد المصنف -رحمه الله- حديث عائشة -رضي الله عنها-، قالت: ((نهاهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن الوصال رحمة لهم، فقالوا: إنك تواصل، قال: إني لست كهيئتكم، إني يطعموني ربِّي ويُسقِّينِي))^(١) والمقصود بالوصل: أن الصائم لا يفطر بعد غروب الشمس، وإنما يستمر على صومه، وهو نوعان:

الأول: أن يبقى إلى السحر، يعني: لا يأكل ولا يشرب، ولا يأتي شيئاً مما يمنع بالصوم.

الثاني: أن يواصل ليه بنهاره، لا يأكل ولا يشرب ويمتنع من سائر المفطرات فيواصل يوماً أو يومين فأكثر، وقد نقل عن ابن الزبير -رحمه الله- أنه كان يواصل خمسة عشر يوماً، ونقل عن بعضهم أنه يواصل عشرة أيام.

فكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يواصل في الصيام، وكذلك أصحابه -رضي الله تعالى عنهم-، وكانوا في غاية الحرص على الخير، وعلى طاعة الله -عز وجل-، والاستزادة من العمل الصالح، ويحبون الطاعات ويقبلون عليها، ولا يستقلونها، ولهذا لما احتضر معاذ بن جبل -رضي الله تعالى عنه- بكى عند موته، فسئل عن هذا، فقال: أبكي على ثلات، على ظمأ الهواجر، وقيام ليل الشتاء الطويل، وعلى مزاحمة العلماء بالرُّكب.

وهذه الأشياء الثلاثة تجد أكثر الناس اليوم أزهد ما يكونون فيها، بل هي أ neckline شيء على كثير من النفوس، الصيام في الحر فلا تجد من يجعل الإجازة فرصة ليعود نفسه على الصيام، بل يعتذر ويتعلل بالدراسة أو نحو ذلك، والعمر ينقضي ولا يخلو من أشغال، والجنة تحتاج إلى عمل صالح ومجاهدة للنفس.

أصحاب الرسول -رضي الله عنهم- لم يكتفوا بكثرة الصوم، بل كانوا ي يريدون المواصلة، لا يفطرون في الليل بل يستمرون أيامأ، فنهاهم النبي -صلى الله عليه وسلم- عنه، ((رحمة لهم)) يعني: شفقة عليهم. فقالوا: ((إنك تواصل)), نحن نريد أن نقتدي بك، كيف تنهانا عن الوصال وأنت تواصل؟، أرادوا أن يتبنوا ذلك، يعني: هل هذا مما يختص بالنبي -صلى الله عليه وسلم- لأن من الأعمال ما هو مختص به -عليه الصلاة والسلام-، لا يشمل الأمة، ومنه ما يكون مشتركاً فيه مع أمته -عليه الصلاة والسلام-، قال: ((إني لست كهيئتكم)), أي: لست بمثابتكم.

^١ - أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب الوصال ومن قال: ليس في الليل صيام، (٣٧)، برقم: (١٩٦٤)، ومسلم، كتاب الصيام، باب النهي عن الوصال في الصوم، (٢)، برقم: (٧٧٤)، برقم: (١١٠٢).

وقوله: ((إني يطعني ربي ويسقيني)) اختلف أهل العلم في معناه:
فمنهم من قال: إن الله يجعل فيه قوة كقوة الذي يأكل ويشرب، وهذا هو الذي اختاره الإمام النووي -رحمه الله-، وهذا القول لا يخلو من إشكال، لأن العبادات فيها مشقة ويؤجر الإنسان على مشقتها.

ومنهم من قال: إنه يحصل له ما يحصل لمن أكل وشرب من الري والشع، وهذا أيضاً فيه إشكال؛ لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يجوع وكان يربط على بطنه الحجر والجررين.

ومن أهل العلم من قال: إن الله يطعمه من الجنة وهو نائم، وهذا فيه إشكال باعتبار أن هذا الوصال يشق، ويؤجر عليه الإنسان، فلو كان يأكل ويشرب من الجنة إذا نام فإن ذلك وإن كان لا يقال: إنه أفتر لأنه يحدث وهو نائم لكن لا يحصل به المشقة من العبادة.

وبعض أهل العلم قال: إنه يحصل له بالنوم اكتفاء، كما يحصل للإنسان إذا جاع أو عطش فنام ارتاح، ولا يجد ألم الجوع والعطش وهو نائم حتى يستيقظ، وهذا فيه بُعد، فالمعنى أبلغ من هذا، فإن ذلك يحصل لكل نائم، وإنما للنبي -صلى الله عليه وسلم- مزية.

ومن أهل العلم كالحافظ ابن القيم -رحمه الله- من قال: إن هذا من باب الاكتفاء بالالتذاذ بالعبادة، فإن الإقبال على الله -عز وجل- بالمناجاة والصلوة والتعبد ورجاء ما عنده، والسرور بمعرفته وما أشبه ذلك يحصل للإنسان به من الشبع ومن الاكتفاء بما يحصل بذلك العمل من غذاء الأرواح، فيكفيه عن غذاء الأبدان، هذا الذي قاله ابن القيم ولوه وجه ظاهر، وهذا يشاهد الإنسان في كثير من الأحوال لدى الناس، قد تجد الإنسان يصوم يوماً ويتعب ويعاني بل يستقل حتى الذهاب إلى المسجد، ولكن قد تجده في حرم الله -عز وجل- في العشر الأولى يصلى التراويح ويصلى القيام ولا ينام من الليل، ويجلس بعد الفجر يقرأ ولربما إلى الضحى، وينام قليلاً، ثم يستيقظ يصلى الظهر والعصر وبين ذلك قراءة القرآن وفي غاية النشاط والانطلاق، وإذا أفتر بفقليل من الماء وتمرات، وليس عنده مائدة عريضة كما نفعل في بيوتنا، فمن أقبل على الله -عز وجل- فإن الله يعوضه بما يجده من لذة.

ولذلك تجد الإنسان مثلاً في ذلك الوقت الذي نفسه مقبلة على الله تجده يذهب ويشتري الصدقات ويوزعها، ونشيط وفي غاية السرور والراحة.

فمن صام وهو يحتسب العبادة تجده وقت الظهر لا يلتفت إلى شيء، ولا يفكر بالطعام، وأيام الفطر إذا جاء وقت الظهر ترتعش يديه من شدة الجوع، وينتظر متى يخرج من عمله حتى يذهب ليأكل، بل لربما وهو صائم يأتي وقت المغرب وهو لا يشعر لا بجوع ولا بعطش، فمن الإمكان أن نقول: إن الله يعوضه، فغذاء الأرواح قد يعوض كثيراً مما يفوت من غذاء الأبدان، ولذلك رأينا بعض أهل العلم في رمضان يقوم بدورس كثيرة، وهو في غاية النشاط، وهو صائم، ولا يكاد ينام إلا قليلاً، ومع ذلك لا يجد تعباً، بل يجد غاية الراحة واللذة والسرور والانشراح.

فالملخص من الحديث شفقة النبي -صلى الله عليه وسلم- على أمنته، حيث منعهم من الوصال رحمة بهم، وهذا من كمال رأفته -صلى الله عليه وسلم- وهو داخل تحت عموم قوله: **«لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ»** [التوبة: 128].